نقد الشعر عند عمر بن الخطّاب

د. وليد قصّاب

مُدْخِل

أبدى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ اهتماما واضحا بالشعر، وأُثرت عنه أقوال كثيرة، ومواقف متعددة تتصل بهذا الفن الأدبي العريق، ونحسبه من أكثر خلفاء المسلمين وولاة أمورهم نقدا له وآراءً فيه، إن لم نقل أكثرهم على الإطلاق، فقد تجمعت لدينا طائفة غنية من أقواله ومواقفه النقدية، أربت على الستين (١)، ولم يقع إلينا من أحد من الخلفاء ـ باستثناء عبدالملك بن مروان ـ مثل ما وقع إلينا من عمر بن الخطاب في قضايا الشعر ومسائله المختلفة.

ويبدو لنا أن اهتمام أبي حفص بهذا الفن راجع إلى أنه بطبيعته محب له، مفطور على الفصاحه والتأثر بالقول الجميل، وهو ـ من ناحية أخرى ـ شديد الإدراك لخطره في حياة العرب، وعظم الدور الذي يمكن أن يؤديه فيهم إذا أُحسن استثمار طاقاته الغنية، وتوجيهه في طريق السداد والحق. إنه جهاز إعلام هذا المجتمع، أو الشطر الهام من هذا الجهاز. وقد أخذ عمر نفسه بتوطيد أركان المجتمع الإسلامي الجديد، وتثبيت قيمه ومبادئه، ومطاردة فلول الجاهلية التي ما تزال لها بصمات هنا وهناك، ومثلما راح ـ مترسما خطا رسول الله

---

١ ـ جمعنا أغلبها في كتابنا نصوص النظرية النقدية عند العرب من العصر الجاهلي إلى أوائل القرن الثالث: ٥٩ ـ ٧١، واستدركنا في هذا البحث نصوصا أخرى لم نجمعها ثَمّ.

عليه السلام وصاحبه الصِّدِّيق ـ يزرع تعاليم الإسلام، ويطبق أحكامه في كل شأن من شؤون الحياة: في الحكم والسياسة، والسلم والحرب، والاقتصاد والمال، وفي العلاقات الاجتماعية والإنسانية وغيرها، راح ـ جزءا من رسالته هذه ـ يرسي هذه الأحكام أيضا في دولة الأدب، وينشىء ملامح التصور الإسلامي له، بعد أن اعتوره ما اعتور الحياة كلها من ضلال الجاهلية وزيغها.

وبدت آراء عمر ومواقفه النقدية التطبيق العملي لما أرسته أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ من أسس وقواعد للكلمة وفن الشعر، وعلى انشغاله بأعباء السياسة، والنهوض بأمر الدولة، لم يهمل رعاية الجانب الأدبي الفكري، بل كان دور الشعر ـ ولا سيما في حياة العرب ـ حاضرا في ذهنه شديد الحضور، وكان الواجب في تسديده وتصويب مساره ـ في ضوء الموقف الإسلامي ـ أشد حضورا.

إن نقد عمر نقد رؤيوي، يمثل التصور الإسلامي الصحيح للأدب، ويعكس النظرة العقدية السليمة إليه، يحتكم إلى معايير الدين والخلق الإسلامي في الاستحسان والرفض، وفي التنظير والتقعيد، وليس صحيحا أنه صدر عن موقف شخصي محافظ ومتزمت، أو أن الإنسان «قد يشعر في موقف عمر الأخلاقي والديني من الشعر شدة وصرامة لا تمثل ما يريده الإسلام من الشاعر، وإنما تمثل موقفا شخصيا متدينا»(١)

وقد قمنا في هذا البحث بدراسة شخصية عمر الناقد، وبيان دوره في رعاية النظرة الإسلامية إلى الأدب، وترسيخها، وتعميق مفهومها، في جانبين اثنين هما:

ـ المبادىء النظرية في الشعر، وبيان المقبول والمرفوض منه. ويمثل هذا الجانب التشريعي.

ـ التطبيق العملي للمبادىء السابقة في الحياة الأدبية، وأخذ الشعراء بها. ويمثل هذا الجانب التنفيذي.

---

١ ـ انظر مثلا رأي الدكتور داود سلوم في كتابيه، تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث: ٢٦، ومقالات في تاريخ النقد العربي: ٤٠.

لم يكن عمر بن الخطاب شخصية عادية، كان متميزا في كل شيء. وكانت عبقريته متعددة الجوانب والمناحي. كان دقيق الحكم في كل ما يخوض فيه، حصيف الرأي، وقّاد البصيرة، ذا ملكة نفّاذة في استنباط الأحكام السديدة. وحسبه شهادة رسول الله ـ ﷺ ـ أن الحق ينطق على لسانه، بل حسبه أن يقول أحيانا فينزل القرآن الكريم نفسه على نحو مما قال.

وفي مجال الشعر تشهد الحال بعلو كعب أبي حفص في المعرفة به، والبصر بشأنه، والعناية بروايته. إنه يحتل حيزا ذا بال في تفكيره واهتمامه، فهو حُفَظَة له، واسع الرواية لعيونه وشوارد أمثاله، وهو يحرص على الاستشهاد به، وتوظيفه في كثير مما يعرض له من شؤون الحياة. قال الأصمعي: «ما قطع عمر أمراً إلا تمثل ببيت شعر(١)» وقال ابن الجعدية: «ما أبرم عمر بن الخطاب أمرا قط إلا تمثل فيه ببيت شعر(٢)». وقال ابن عباس: «ما رأيت أروى من عمر(٣)».

وكانت فيه ملكة الشعر، وقد جاشت نفسه به أحيانا. قال الشعبي: «كان عمر شاعرا(٤)» وقد أورد ابن رشيق شيئا مما أُثر عنه، أو نُسب إليه(٥) ولكن الذي لا شك فيه أن أمور المسلمين وشؤون الدولة ما كانت لتدع لديه وقتا يتوفر فيه على هذا اللون من النشاط.

وإذا كان عمر يمارس الشعر إبداعا، ثم يرويه بعد، ويحفظه، ويتمثل به في مواطن شتى، فلا عجب أن يكون نقّادة له، مميزا حسنه من رديئه، قادراً على استنباط أحكام تتعلق به: تعليلاً، وتذوقاً، وتحليلاً. قال عنه ابن رشيق: «كان من أنقد أهل زمانه للشعر، وأنفذهم فيه بصيرة (٦)»

---

١ ـ مناقب عمر: ١٨٨
٢ ـ بهجة المجالس: ١/٣٧
٣ ـ الكامل: ١١٥٤
٤ ـ مناقب عمر: ١٨٨
٥ ـ انظر العمدة: ١/٣٣ وما بعدها
٦ ـ العمدة : ١/٣٣

تأثير الشعر ودوره النفسي

ويبدو أن اهتمام عمر بهذا الفن الأدبي نابع من إدراكه التام لقوة تأثيره، وامتداد سلطانه. إن الشعر نفّاذ في النفس، عميق الولوج إليها، وهو ينسرب في طواياها انسراباً عجيباً، فيحدث فيها من التأثير ما يشبه السحر، لأنه فن ممتع لذيذ، يقوم بعرض الأشياء عرضاً شائقاً باهراً، وإذا ما اجتمع ـ له مع إمتاعه النابع من رشاقة أدواته وجماليات الفن فيه ـ هدف نبيل، ومقصد شريف، أدى الشعر عندئذ وظائف جُلّى قد تعجز عن أدائها أضراب أخرى من القول.

وإن عمر ليعاين تأثير الشعر أول ما يعاينه من نفسه، وهو تأثير يحمله أحيانا على الفعل، وتغيير المواقف. كان لأمية بن حرثان ولد اسمه كلاب، هاجر إلى البصرة في خلافة عمر، فقال يشكو غيبة ابنه، ويذكر وطأة فراقه:

سأستعدي على الفاروق ربّاً ... له عمد الحجيج إلى بُسَاق
إنِ الفاروقُ لم يردد كلابا ... على شيخين هامهما زواقي

فكتب عمر إلى أبي موسى بإشخاص كلاب، فما شعر أميه إلا به يقرع الباب (٢)

ووقف عليه أعرابي، فقال:

يا عمر الخير جُزيتَ الجنّه ... اكسُ بناتي وأمهنَّه

أقسمت بالله لتفعلنَّه

قال: فإن لم أفعل يكون ماذا؟ قال:

إذاً أبا حفص لأذهبَنَّه

---

١ ـ العمدة: ١/٥٨

قال: فإن ذهبت يكون ماذا؟ قال:

يكـــون عن حـــالي لتُســـألَنَّه يـــوم تكـــونُ الأعطيـــات مِنَّه

إما إلى نار وإمّا جنَّه

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته، وقال لغلامه: أعطِه قميصي هذا، لذلك اليوم لا لشعره. ثم قال: والله ما أملك غيره (١).

وأشار أبوحفص أكثر من مرة إلى هذا الدور النفسي للشعر، وتحدث عن قدرته العجيبة على الانسراب والتأثير، وهو تأثير قد يحمل على الفعل، فيجوز شأوه حينئذ هزَّ النفس وتحريك سواكنها، ويدفعها إلى اتخاذ المواقف، أو تغييرها، أو الانتقال إلى نقيض لها. يقول عمر: «الشعر جزل من كلام العرب، يسكن به الغيظ، وتُطفأ به النائرة، ويتبلغ به القوم في ناديهم، ويُعطى به السائل»(٢).

إن الشعر هاهنا ـ بسبب من أسلوبه المتميز ـ سفير موفق إلى النفوس، يحمل معه من السلطان ما يجعله مسموع الكلمة، ماضي الحكم، حتى إنه يقلب الأمور رأسا على عقب، فقد يستطيع الشاعر بأبيات أن يستعطف الكريم، ويستنزل اللئيم (٣).

وتأثير القول لا ينقضي، فالكلمة تبقى على الدهر خالدة في ضمائر القوم وقلوبهم، ممتدة في نُسغ الأجيال وأعقابهم، فتأثيره ليس آنيا فحسب، ينقضي بانقضاء زمنه أو زمن قائله، ولكنه حي لا يبلى، وقد عبر عمر عن خلود الشعر، وامتداد سلطانه عبر الزمان في قوله مرة لابنة زهير بن أبي سلمى «ما فعلت حلل هرم بن سنان التي كساها أباك؟ قالت: أبلاها الدهر، قال: لكن ما كساه

---

١ ـ مناقب عمر: ١٩٢، المراح في المزاح: ٢٤

٢ ـ العقد: ٥/ ٢٨١، محاضرات الأدباء ١/ ٨٠

٣ ـ البيان والتبيين: ٢/ ٣٢٠، الكامل ١/ ١٠٣

أبوك هرما لم يُبْله الدهر» (١) وقال مرة أخرى لبعض ولد هرم: «أنشدني ما قال فيكم زهير، فأنشده، فقال: «لقد كان يقول فيكم فيحسن، قال: يا أمير المؤمنين: إنا كنا نعطيه فنُجزل. قال عمر: ذهب ما أعطيتموه، وبقي ما أعطاكم.(٢).

طاقات الشعر

إن هذه القدرة العجيبة للشعر على الولوج إلى النفس، وتركه فيها بصمات عميقة الأثر، طويلة البقاء، ليجعله ـ إذ يُحْسَن تسديده ـ نشاطاً هاماً قادراً على تحقيق أغراض خيرة، وسلاحاً ذا فعل من أسلحة الدعوة والإصلاح، وقد تحدث أبوحفص طويلاً عن بعض العوالم التي يمكن أن يلجها الشعر، وعن الطاقات التي تكمن فيه:

ـ التوجيه والتربية

إن الشعر نشاط هادف مسؤول، إنه ليس فنا جميلاً بلا غرض، أو نظماً ممتعا لذيذا بلا غاية، وهو ـ في المنظور الإسلامي ـ لا يأرب إلى سبي النفوس وإطرابها، أو التفاخر بالفصاحة والبلاغة، أو يسخّر في تسلية القوم وإضحاكهم، ولكنه فعل جاد، يلعب دور التربية، وغرس القيم الفاضلة، والمثل الرفيعة، إنه يبني الأخلاق، ويدل على الخير، يزين الحق ويجمِّله فيحمل عليه، ويقبِّح الباطل ويهجِّنه، فيحذر منه، ويجنِّب الوقوع فيه. وقد فطَّن أبوحفص إلى هذا الدور الهام، وألحت أقوال كثيرة له على تجليته، وكان مسوغا مقنعا للاهتمام به، والدعوة الدؤوب إلى تعلمه: «فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب»(٣) وإن «فيه محاسن تُبتغى، ومساوىء تُتَّقى، وحكمة للحكماء، ويدل على مكارم الأخلاق»(٤) وإن «الشعر يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويعلّم محاسن الأعمال، ويبعث على جميل الأفعال.. وادخار المكارم..

١، ٢ ـ العمدة ١/ ٨١، الأغاني: ١٠/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥

٣ ـ العمدة: ١/ ٢٨.

٤ ـ مكارم الأخلاق: ١٥، كنز العمال: ٣/ ٨٥٥

وينهى عن الأخلاق الدنيئة، ويـزجـر عن مـواقعـة الـريب، ويحض على معـالي الرتب»(١).

ـــ الخبرة والثقافة

والشعر مصدر من مصادر الخبرة، وينبوع من ينابيع المعرفة والثقافة، إنـه حصيلة التجربة الإنسانية، ونتاج العقول المتميزة الحكيمة، وهو ـ عنـد العـرب خاصة ـ عصارة علمها، وملخص رحلتها الثقافية الطويلة، وان معـرفتـه تعني معرفة تراث هذه الأمـة وحضـارتها وتـاريخهـا، فقـد صب العـرب في الشعـر خلاصة عقولهم، وثمرة تفكيرهم، وعبروا فيه عن عاداتهم وتقـاليـدهم، ومثلهم وقيمهم، وآمالهم وآلامهم، أو قل أنماط حيواتهم المختلفة، وقد عبر عمر عن هذه المعاني جميعها في قوله ـ وذُكر عنده الشعراء: «كـان علم قـوم لم يكن لهم علم أعلم منه»(٢) وفي رواية: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه»(٣)

واتكأ ابن سلام في القرن الثالث على عبـارة عمـر، فقـال: «كـان الشعـر في الجاهليـة عنـد العـرب ديـوان علمهم، ومنتهى حكمهم، بـه يـأخـذون، وإليـه يصيرون»(٤) وقال ابن خلدون في القرون المتـأخـرة: «اعلم أن فن الشعـر بين الكلام كان شريفاً عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم، وشاهـد صوابهم وخطئهم، وأصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم»(٥).

وإذا كان الشعر ضربا، من الثقافة والخبرة، فـلا غـرو أن يقـول عمـر ـ في موطن الحث على تعلمه ـ: «يُفَتّق الفطنة، ويشحذ القريحة»(٦).

ـــ معرفة النسب

إذا كان الشعر حصيلة ثقافة العرب وعلمهم، ومستودع تجاربهم وأيـامهم، فإنه سجل تاريخهم وأنسابهم، ومعرفة قبائلهم وأرحامهم. وقـد تـوقف عمـر

---

١ ـ نضرة الإغريض: ٣٥٧.
٢ ـ كنز العمال: ٣/٨٥٣
٣ ـ طبقات فحول الشعراء: ٢٤.
٤ ـ السابق نفسه.
٥ ـ المقدمة: ٥٣٥.
٦ ـ نضرة الإغريض: ٣٥٧

طويلا عند أهمية الشعر العربي في التعريف بالنسب. ولكن معرفة النسب هاهنا ليست لأغراض الجاهلية في التباهي والفخر، والتطاول والعجب، بل هي ذات منزع ديني، وهدف خلقي؛ إن الشعر ـ إذ يعلّم النسب، ويدل على وشائجه ـ يعين على صلة الرحم، والإحسان إلى ذوي القربى. وكم قصرَّ الإنسان في حق ذوي أرحامه لجهله بنسبه، وعدم معرفته أصوله وفروعه. قال عمر: «تعلّموا أنسابكم لتصلوا أرحامكم»(١) وقال لابنه عبدالرحمن: «يا بني! انسب نفسك وأمهاتك تصل رحمك، واحفظ محاسن الشعر يكثر أدبك، فإن من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه، ومن لم يعرف الشعر لم يؤد حقا، ولم يقترف أدبا»(٢).

وقال مرة أخرى: «اروا من الشعر أعفه، ومن الأحاديث أحسنها، ومن النسب ما تواصلون عليه، وتُعرفون به، فرب رحم مجهولة قد عُرفت فوُصلت، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق، وتنهى عن مساويها»(٣)

حث على تعلمه

في ضوء البيان السابق لجلال الأغراض التي يمكن أن يؤديها الشعر النبيل، وأن يأرب بتحقيقها، ندرك سبب هذا الحرص الدائب في أقوال عمر ومواقفه على تعلم الشعر وروايته وحفظه والتمثل به، وحث القوم على أن يولوه الاهتمام والرعاية. كتب إلى الأمصار قائلا: «علموا أولادكم العوم والفروسية، ورووهم ما سار من المثل، وما حَسُن من الشعر»(٤) وكتب إلى أبي موسى الأشعري: «مُرْ من قبلك بتعلم الشعر»(٥) وقال: «تحفظوا الأشعار، وطالعوا الأخبار»(٦) وروى ابن عباس عنه قوله: «تعلموا الشعر»(٧)

---

١ ـ مناقب عمر: ١٩٩
٢ ـ جمهرة أشعار العرب: ١/١٥٨
٣ ـ السابق: ١/١٥٩
٤ ـ بهجة المجالس: ١/٧٦٧، الكامل: ١/٣٤٤.
٥ ـ العمدة: ١/٢٨
٦ ـ نضرة الإغريض: ٣٥٧.
٧ ـ مكارم الأخلاق: ١٥، كنز العمال: ٣/٨٥٥

إنه ينظر إليه على أنه طاقة حيوية، وهو ـ بما يمتلك من سلطان النفوذ والتأثير ـ موهبة هامة، ومنحة عظيمة، إنه سلاح بتار فعال في بعض المواقف. قال أبوحفص: «من أفضل ما أعطيته العرب الأبيات يقدمها الرجل أمام حاجته..»(١) وفي رواية: «نعم الهدية للرجل الشريف الأبيات يقدمها..»(٢).

وقد يكون من نوافل القول بيان أن هذه الحماسة للشعر موجهة إلى شطر منه، وهو الذي يعبر عن رؤية كريمة. إن الشعر لا يُقبل على إطلاقه. قسم القرآن الكريم الشعراء إلى فريقين، ثم حسمت أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ هذه المسألة بما لا يدع ريبة: «إن من الشعر حكمة» و«إن من الشعر حُكما»(٣) ولكن القيح أو الدم خير من شعر السَّفه. قال عليه السلام: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا يريه خير من أن يمتلىء شعرا»(٤).

ومضى عمر يؤكد هذا الموقف الذي يعني ربط الشعر بالمسؤولية والالتزام، وجعله نشاطا هادفا.وأقواله السابقة التي حثت على تعلم الشعر وروايته، وبيّنت جلال دوره، وتوقفت عند بعض وظائفه، موجَّهة إلى هذا الشطر الخيرّ منه. إن الدعوة فيها واضحة إلى الاصطفاء والتخير، وإلى الانتقاء والتمييز، إن (من) التي تدل على البعض أو البيان وردت واضحة الدلالة في أكثر من قول.وانظر إليها أوضح في قوله: «تعلموا من الشعر ما يكون لكم حكما، ويدلكم على مكارم الأخلاق»(٥).

نماذج الرؤية السليمة

والاستحسان والرفض تفصل فيهما معايير الإسلام، ومقاييس الحق

---

١ ـ نثر الدر: ٢/٢٨، الكامل: ١/١٠٣.
٢ ـ البيان والتبيين: ٢/٣٢٠
٣ ـ الترمذي: ٤/٢١٦، ابن ماجة: ٢/٢١٠، الدارمي: ٢/٢٩٧، جامع الأصول: ١١/٧٤٤
٤ ـ الترمذي: ٤/٢١٩، ابن ماجه: ٢/٤١١، سنن أبي داود: ١/٣١٥
٥ ـ مكارم الأخلاق: ١٥

والباطل، وعمر ـ بحكم موقعه في السلطتين الدينية والسياسية ـ مسؤول عن إرساء قواعد التصور الإسلامي للكلمة، وعن رعاية الشعر النظيف الذي يقره الدين، وآفاق هذا الشعر رحبة لا تحد، فكل ما كان في دائرة الحكمة والحق، يحث على فضيلة، أو يحمل على خير، أو يزين مكرمة من خلق أو صلاح يُحْرص عليه، ويُشَجّع على مثله، ويكون موضع حظوة واحتفاء في المجتمع الإسلامي.

وإليك نماذج مما كان يعجب عمر، فيتناشده في مجالسه، أو يتمثل به، أو يحرص على روايته وإذاعته. كان يتمثل بقول الشاعر:

خليلّي ليس الرأي في صدرِ واحد ... أشيرا عليّ اليوم ما تريان
أأركب صعب الأمر، ان ذَلوله ... بنجران لا يُقضى بحين أوان

ويكتب به إلى بعض أمرائه وقضاته(١)

وكان يتمثل بقول الأعور الشني:

هَوّن عليك فإن الأمور ... بكفّ الإله مقاديرُها
فليس بآتيك منهيٌّها ... ولا قاصرٍ عنك مأمورُها(٢)

وبقول الشاعر

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتُه ... يبقى الإله ويفنى الأهل والولدُ(٣)

وروى ابن شهاب أن عمر كان يعجب بقصيدة لبيد:

---

١ ـ بهجة المجالس: ١/٤٥٣ ... ٢ ـ مجموعة المعاني: ٣٦
٣ ـ بهجة المجالس: ٢/٢٩٥، ٢/٣٤٠

إن تقـــوى ربنـــا خير نَفَلْ وبـــإذن اللـــه رَيْثي والعَجَلْ
أحمد اللـــه فـــلا نـــدَّ لـــه بيـديـه الخير مـا شـاء فعـلْ
من هـــداه سبُلَ الخير اهتـــدى نـــاعمَ البـــال ومن شـــاء أضَلّ

ويأمر بروايتها.(١)

وروى ابن عباس أن عمر كان يقول: مـا في شعـر العـرب أحكم من قـول العبدِيَّين:

لقد غرّت الدنيا رجالاً فأصبحـوا بمنـزلـة مـا بعـدهـا مُتَحَوَّل
فســاخط أمــر لا يبــدّل غيره وراضٍ بـــأمـــر غيَره سيُبَدّل
وبالـغُ أمـر كـان يـأمـل دونـه ومختلـجٌ من دون مـا كـان يأمل(٢)

وصحب رجل عمر في الطريق، فمات، فَقَلَّ يومٌ إلا كان يتمثل ويقول:

وبالـغ أمـر كـان يـأمـل دونـه ومختلـج من دون مـا كـان يـأمـل (٣)

ومما كان يتمثل به قول القائل:

لا يـغُرَّنَّك عـيشٌ ســـــاكـن قـد يـوافي بـالمنيـات السَّحَر(٤)

وكان يعجب بقول عبدة بن الطبيب:

والعيش شحٌ وإشفاق وتأميلُ

ويقول: «على هذا بنيت الدنيا»(٥)

---

١ ـ كنز العمال: ٣/٨٥٣
٢ ـ السابق: ٣/٨٥٥
٣ ـ كنز العمال: ٣/٨١٨.
٤ ـ السابق نفسه
٥ ـ العقد: ٥/٢٨١، البيان والتبيين: ١/٢٤١

وقال ذات يوم لأصحابه، أيكم يحفظ أبيات أبي اللحـام التغلبي؟ فلم يجبه أحد ، فلما كان بعد أتاه ابن عباس، فأنشده أبيات أبي اللحام:

خليـلَّي ردَّانـى بَي الـدهـر إنني ... أرى الـدهـر قـد أفنى القـرون الأوائلا
كأن المنايا قـد سطت بَي سطوة ... وألـقـت إلى قـبر علَّي الجنـادلا
ولستُ بأبقى من ملوك تخرّمـوا ... أصـابهمُ دهـر يصيب المَقَاتِلا
أبعد ابن قحطان أرجِّى سـلامـة ... لـنـفـسَي أو أُلفَى لـذلك آمـلا

فبكى عمر، ومكث جُـمَـعـاً يستنشد ابن عباس هذه الأبيات(١)

وكان إذا لقي متمم بن نويرة استنشده قصيدته في أخيه مالك، ومنها:

وكنا كنـدمـاني جـذيمـةَ حقبـة ... من الدهر حتى قيل: لن يتصدَّعا
فلما تفـرّقنـا كـأني ومـالكـاً ... لطـول اجتماع لم نبِتْ ليلـة معـا

ويقول له: «لو كنت أقول الشعر لسرني أن اقول في زيد بن الخطاب مثل ما قلت في أخيك»(٢).

ولا يظنَنَّ ظان أن تصور عمر للشعر الذي يقره الإسلام محصور في الشعر الديني مثلا، أو فيما حث على الزهد في الدنيا، أو ذكّر بالموت والآخـرة، أو فيما كان وعظاً وإرشاداً، أو كان حكمة ومثلا.. إن هذا ضرب من الشعر الإسـلامي، ولكنه ليس جميع ضروبه وأشكاله. إن الشعر الإسلامي يفتـح صـدره لجميـع أنماط القول ما دامت في دائرة الحق والخير، إنه لا يتنكب للتعبير عن المشـاعـر الإنسانية الرقيقة، ولا يجافي عواطف القلوب النبيلـة، إن افقـه واسـع رحب، إن دائرته الحياة كلها، بجميع صورها وأنماطها ما دام يقدم عنهـا رؤيـة سليمـة صحيحة لا ينكرها الإسلام.

---

١ ـ كنز العمال: ٣/٨٥٣
٢ ـ الشعر والشعراء: ٣٢٨.

روي أن عبدالرحمن بن عوف كان في سفر، وكان رباح بن المغترف يغنيه، فأدركه عمر، فقال: ما هذا يا عبدالرحمن؟ فقال: نقطع به سفرنا. فقال عمر: إن كنت لا بد فاعلا فخذ:

أتعرف رسما كاطِّراد المذاهب ... لعمرة وحشا غير موقف راكب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة ... بدا حاجب منها وضنَّت بحاجب(١)

فعمر لا يرى بأسا أن يُتَغَنَّى بهذا الغزل الرقيق العف الذي لا مجانة فيه ولا فحش.

وروي أن قوما قالوا له: يا أمير المؤمنين: إن لنا إماما شابا إذا صلى لا يقوم من مجلسه حتى يتغنى بقصيدة، فمضى إليه عمر، وقال له: بلغني عنك أمر ساءني، قال: فإني أُعتبك يا أمير المؤمنين، ما الذي بلغك؟ قال: بلغني أنك تتغنّى، قال: فإنها موعظة أعظ بها نفسي، فقال عمر: قل، إن كان كلاماً حسناً قلت معك، وإن يك قبيحا نهيتك عنك، فقال:

وفؤادي كلما عاتبته ... عاد في اللذات يبغي نَصَبي
لا أراه الدهر إلا لاهيا ... في تماديه فقد برّح بي
يا قرين السوء ما هذا الصبا ... فنِيَ العمر كذا باللعب
وشبابٌ بان مني ومضى ... قبل أن أقضيَ منه أربي
ما أرجّي بعده إلا الفنا ... طبّق الشيب عليَّ مطلبي
ويح نفسي لا أراها أبدا ... في جميل ولا في أدب
نفسُ لا كنتِ ولا كان الهوى ... اتقي الله وخافي وارهبي

---

١ ـ أمالي اليزيدي: ١٠١

فبكى عمر، ثم قال: هكذا فليُغَنِّ كل من غنى. قال عمر: وأنا أقول:

نفسُ لا كنتِ ولا كـــان الهوى رابضي المـوتَ وخـافي وارهبي(١)

ذلك بعض مما كان يستحسنه عمر، وهـو يمثّل الانتقـاء والتخيّـر، ويقـدّم نماذج تمثيل لا حصر لما يجدر أن يُرعى من الكلام، لأنـه يعبر عن خلق كـريم، ونظرة سليمة. ولعل هذه النماذج تعكس رؤية فكرية للشعر أكثـر ممـا تعكس ذوقا شخصياً في الاستحسان والقبول.

اختلال الرؤية

كانت الجاهلية قريبة عهد في أيام عمر، والعرب ما يـزالـون حـديثي صلـة بالدين الجديد، فلا عجب شديدا إن ظلت بعض قيم الماضي التي جـاء الإسـلام ليغيرها ويستبدل بها تعاليمه الفضلى منشبة أظفـارهـا في ضمائر بعض القـوم وأفئدتهم. ودرج كثير من الشعراء على بعض طرائق القول وألوانه التي لا يقرها الإسلام، وكان لا بد من حربها، واستئصالها من الساحة الأدبية الجديدة.

وهـا هـو أبـو حفص ـ بما عُرف بـه من شـدة في الحق لا تعـرف اللين، وحرص على دين الله لا تشوبه الهوادة ـ يقوم بدور ولي الأمر في المحافظـة على نظافة الفكر، ومحاربة السفهاء والعابثين من أصحاب الكلمة، مهتديـا بمـواقف رسول الله ـ عليه السلام ـ وأحاديثه في الشعر والشعراء. وكان رضي الله عنه ـ بما أوتي من ذوق أدبي محض، وملكة نقـديـة نفّاذة، وفهم لـدين اللـه وغيرة عليه، زد على ذلك كله قناعته التي تحدثنـا عنهـا بـدور الشعـر وعميق أثـره ـ متمكنا من إرساء قواعد التصور الإسـلامي الصحيـح لـلأدب، ومحاربـة القيم الجاهلية فيه:

---

١ ـ كنز العمال: ٣/ ٨٥٤

١ ـ تجربة الوعي:

أكد عمر على ضرورة سيطرة الشاعر على تجربته الشعرية، وأن تتم تحت سلطان الوعي واليقظة، لأن الكلمة مسؤولية وأمانة، ومحاسب عليها صاحبها محاسبة لا هوادة فيها: «ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد: ق ١٨» فإذا جمحت به، أو أُفلتت من سلطان وعيه، أوردته موارد التلف، وكثيرا ما تجمح الكلمة ـ ولا سيما عند الشعراء ـ وتهيم في كل واد(١)، وتفلت أو توشك من سلطان الوعي وحراسته. ولكن الشاعر الإسلامي الملتزم يمتلك المقدرة على كبح الانفعال الشعري الجامح. وإذا تسلل (اللاوعي) إلى تجربته الفنية في أثناء لحظات الإبداع العارمة لم يستسلم له، أو أعاد النظر في تجربته بعد أن يسكت عنه. وانظر إلى هذه المفاهيم متمثّلة في موقف عمر من النعمان بن عدي والي ميسان. بلغ أبا حفص شعر قاله النعمان، وهو:

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها ... بمَيْسانَ يُسقَى في زجاج وحَنْتَم
إذا شئت غنّتْني دهاقين قرية ... ورقّاصةٌ تجثو على كل مَنْسِم
فإن كنتَ ندماني فبالأكبر اسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلّم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادُمُنا في الجوسق المتهدّم

فقال عمر: «نعم والله، إنه ليسوؤني. من لقيه فليخبره أني قد عزلته، فقدم على عمر، فقال: «والله ما صنعت شيئاً مما قلت، ولكن كنت امرأ شاعراً، وجدت فضلاً من قول فقلت فيه الشعر» وفي رواية: والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط، وما ذلك الشعر إلا شيء طفح على لساني. فقال عمر: أظن ذلك، ولكن والله لا تعمل لي عملاً أبداً. أو: أما والله لا تعمل لي عملاً ما بقيت وقد قلت ما قلت..(٢)

---

١ ـ شبه الحطيئة الشعر ـ في حديث له مع عمر ـ بالنملة على لسانه. انظر كنز العمال: ٨٤٦/٣

٢ ـ كنز العمال: ٨٤٣/٣، طبقات ابن سعد: ١٤٠/٤، الإصابة: ١٦٥/١٠

إن عمر يدرك أن الشعر قد (يطفح) على اللسان كما يقول النعمان، ولا يملك الشاعر له ضبطاً، ولكن هذا يمثل شرخاً في الرؤية الإسلامية للكلمة، ويكون هذا الشرخ أعمق ضرراً إذا صدر عن مسؤول يفترض أن يكون قدوة كوالي ميسان..

٢ ـ غلبة الشعر على النفس

ومثلما يطفح الشعر على اللسان، فيفلت من رقابة الوعي ليتحول إلى فعل غير مسؤول، قد يغلب على القلب ويطفحه، فيصبحُ وُكْد الشاعر ودأبه، يشتغل به في كل حين، ويأخذ عليه فكره وعقله، حتى يصير هاجسه المستمر، منصرفاً به عن العبادة والذكر، والعمل والجد، وكأنه خُلق من أجله. وقد انصرف حديث رسول الله ـ عليه السلام ـ : «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير من أن يمتلىء شعراً» ـ في جملة ما انصرف إليه ـ إلى هذه الدلالة (١). وأورده البخاري وغيره في (باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر)(٢). ونسب بعضهم هذا الحديث إلى عمر، وأنه قاله لشاعر يروي شعراً كثيراً(٣)، ولكن الأسْيَر أنه من كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويبدو أن عمر استشهد به. ولعل قول عمر ـ وقد سمع منازل بن زَمَعَة ينشد شعراً والناس يصلون ـ :«من هذا اللعين؟ فعلق به هذا الاسم» ـ منصرف إلى هذه الدلالة التي نتحدث عنها، فليس الوقت وقت إنشاد الشعر، ولاتَ حينَه، وهو ـ إن طفح قلب المسلم، فشغله عن العبادة والصلاة ـ صار نشاطاً مرفوضاً داخلاً في دائرة النهي والتحريم.

وقد يكون من هذه الدلالة نفسها نقده حسانَ، ومعاتبته له، وقد مرّ به ينشد في مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: «أرُغَاء كرُغاء البَكْر؟» ولعله سكت عنه إكراماً لمنزلته عند النبي ـ عليه السلام ـ وسابق إنشاده له في هذا المكان. قال له حسان: دعني عنك يا عمر، فوالله إنك لتعلم لقد

---

١ ـ انظر عون الباري: ٦/١٨٢، وإحياء علوم الدين : ٩/١٥٦٥

٢ ـ انظر الأدب المفرد: ٣٧٩

٣ ـ انظر كنز العمال: ٣/٨٤٦، ٨٤٢

كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغيرّ عليّ ذلك. فقال عمر: صدقت(١)..

وقد يكون من هذه الدلالة التي نحن فيها موقفه من لبيد، وقد يكون ذلك لوناً من ألوان التحري عن سلوك الشعراء في الإسلام، والاطمئنان إلى حسن إيمانهم، وسلامة الرؤية الشعرية عندهم في ظل المفاهيم الفنية الجديدة التي يسعى لترسيخها. كتب عمر بن الخطاب إلى عامله بالكوفة المغيرة بن شعبة: أن استنشد من عندك من شعراء مصرك ما قالوه في الإسلام، فأرسل إلى الأغلب العجلي أن أنشدني، فقال:

لقد طلبت هيّناً موجودا أرجزاً تريد أم قصيدا؟

ثم أرسل إلى لبيد، فقال: إن شئت ما عُفي عنه، يعني الجاهلية، قال: لا، فانطلق، فكتب سورة البقرة. وقال: أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر. فكتب المغيرة إلى عمر، فنقص من عطاء الأغلب خمس مئة وزادها في عطاء لبيد، فكتب إليه الأغلب في ذلك، فرد عليه الخمس مئة، وأبقى لبيداً على زيادته (٢)..

إن لبيداً قد حسُن إسلامه، وأكبّ على العبادة، واشتغل بقراءة القرآن، حتى صار دأبه، ولعل ذلك صرفه عن الشعر وقوله إلى ما هو خير وأبقى. وأحسب أن عمر قد أكرمه على روح التقوى والإيمان اللذين ظهرا منه، ولم يكن ذلك تشجيعاً من عمر على ترك الشعر والزهادة فيه.

٣ ـ في بعض الأغراض

ـ **الغزل** : لم يرفض عمر شعر الغزل جملة، وقد رأيناه في خبر سابق يذكّر عبدالرحمن بن عوف بمطلع غزلي لقيس بن الخطيم يمكن أن يُحدى به في

---

١ ـ العمدة: ١/٢٨، الأغاني : ٤/١٤٤

٢ ـ خزانة الأدب: ٢/٢٤٨، كنز العمال: ٣/٨٥٠

السفر: (أتعرف رسماً...) وقال للحطيئة: «شبّب بأهلك» (١) ولكنه نهى عن التشبب بالنساء الأجنبيات، والنسيب بهن على الطريقة الجاهية، حيث يكون ذلك بمثابة هتك للأعراض، وانتهاك للحرمات، وقذف للمحصنات الغافلات، إذ يذكر الشاعر امرأة بعينها، فيشهّر بها، ويذيع من محاسنها وأوصافها الجسدية ما يزري بالفضيلة، ويغري بالرذيلة. قال للحطيئة مهددا بعد أن أطلقه من حبسه «أشيروا عليّ في الشاعر، فإنه يقول الْهجْر، وينسِب بالحُرَم،،، ما أراني إلا قاطعاً لسانه (٢)..» وحذر الشعراء من ذلك، فتقدم الايشبب رجل بامرأة إلا جلده، فقال حميد بن ثور:

أبى الله إلا أن سرحة مالك ... على كل أفنان العضاه تروق(٣)
وهل أنا إن عللت نفسي بسرحة ... من السرح مأخوذ عليّ طريق؟

خرج حميد من التصريح إلى الرمز خوفاً من عقاب عمر، ولكن القانون لا يأخذ أحداً بالظِنّة.

وكما نهى عمر عن التشبيب بامرأة معينة تصدى للغزل الفاحش الذي يخدش الحياء، ويعبر عن النوازع الشريرة. إن ولي الأمر الصادق المسؤول لا يمكن أن يتغاضى عن واحد مثل سحيم عبد بني الحسحاس وهو يعكس هذه المجانة وهذه الإباحية في قوله:

توسدني كفأ ..... ورائيا

أو قوله:

ولقد تحدّر من كريمة بعضهم ... عرق على جنب الفراش وطيب

---

١ ـ كنز العمال: ٣/٨٤٦
٢ ـ الأغاني: ٢/١٨٩
٣ ـ الأغاني: ١٠/٣٥٦، كنز العمال: ٣/٨٥٢

إن جرم سحيم الآن في هذا القول العابث الذي يذيع المنكر، ويَسْتبْهر بالفحشاء، ولذلك هدده عمر أن يعود إلى مثل ذلك قائلا: «ويلك! إنك لمقتول»(١) ولو ثبت أنه فعل هذا الذي يقوله لكان له عقاب آخر.

إن أبا حفص ـ كما رأينا ـ شديد الحرص على وظيفة الشعر الخلقية، وعلى تجنيده في الدعوة والإصلاح، وفي إرساء القيم الفاضلة، وإن أي ارتكاس في هذا المسار النبيل لا بد أن يعرّض صاحبه للمساءلة والعقاب. مرّ رجل من مزينة بباب رجل من الأنصار، وكان يُتّهم بامرأته، فتمثل:

هل ما علمتَ وما استُودعتَ مكتوم؟

إنه تعريض دنيء، والشعر ها هنا مطية شر. استعدى رب البيت على الرجل عمر، فقال له: ما أردت؟ قال: وما علي في أن أنشدت شعراً؟ قال: قد كان له موضع غير هذا، أو مالك لم تنشده قبل أن تبلغ بابه؟ ولكنك عرّضت به مع ما تعلم من القالة فيه. ثم أمر به فحُدّ(٢).

إن الكلمة مسؤولية، ولا يجوز ـ في مظلة أي مسوغ ـ أن تُسَخّر في الاعتداء والهدم.

ـ **الهجاء:** يرتسم عمر مراسم النبي ـ عليه السلام ـ في التصدي لهجاء الجاهلية، وهو هجاء الأخيار وأهل الفضل، فهجاؤهم هو السب والطعن، وهو الهتك والقذف، وقد حرّم الإسلام ذلك كله. قال عليه السلام: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر» (٣) ومضى عمر يتتبع شعراء السفه الذين يتأكّلون بأعراض الناس، ويتاجرون بهجائهم، وراح يأخذ على أيديهم بلا هوادة ولا رحمة. لم يسمح أبو حفص ـ وحاشا لمثله أن يفعل ـ أن يكون الهجاء وسيلة

---

١ ـ الأغاني: ٢٢/ ٣٠٥، الشعر والشعراء: ٤٠٩

٢ ـ طبقات فحول الشعراء: ١٤٠، الأغاني ٢١/ ٢٠٣

٣ ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ١٨٨

تسلية ودعابة، أو فناً من فنون التباهي البلاغي، تُسبى به عقول الناس، أو تُعقد له حلقات الأنس والسمر. وأي دين أو خلق يرضى أن تجُعل أعراض الناس وأحوالهم ألعوبة المُجّان من الشعراء، ودريئة سفههم وعبثهم؟ جعل عمر هذا الضرب من الهجاء جرما يؤخذ به صاحبه كما يؤخذ بالقذف، وبذلك أدخل الشعر في حيز الالتزام والمسؤولية، فهو أول من عاقب على الهجاء، (١) وحد عليه، وموقفه من الحطيئة ـ متوليّ كبر هذا الضرب من القول في عصره ـ نموذج فذ في تصدي ولي الأمر للأدب المنحرف الذي يمثل اعتداء على المجتمع. هجا الحطيئة الصحابي الجليل الزبرقان بن بدر التميمي، فاشتكاه إلى عمر، فقال: وما قال لك؟ قال: قال لي:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر: ما أسمع هجاء، ولكنها معاتبة. فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس. فقال عمر: علّي بحسان، فسأله، فقال: لم يهجه، ولكن سَلحَ عليه. ويقال: إنه سأل لبيداً، فقال: ما يسرني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وأن لي حُمُر النَّعَم، فأمر به عمر، فجعل في نقير في بئر.. (٢).

لم يسكت عمر على الحطيئة، بل عاقبه عقاباً شديداً، وفي عقابه مُزْدَجر لغيره، ولأن ثبوت الجرم يوقع القصاص، أراد ـ وهو أدرى الناس بفن القول ومدلول الكلام ـ أن يدرأ الحدود بالشبهات، فتساءل، ببراعة نقدية متميزة، إن كان لقول الحطيئة تخريج آخر، وللاستيثاق من هذا الخاطر الذي يتقرّر به لون العقاب، استأنس برأي أصحاب الخبرة، سأل حسان، وسأل لبيداً، مقرراً بذلك مبدأ هاماً من مبادىء النقد الأدبي، وهو احترام النقد الموضوعي الصادر عن متخصصين، ولما أكدا ما في قول الحطيئة من لذع وإيلام كان القصاص.

ومثل هذا الموقف الحازم في تصدي ولي الأمر لانحراف الشعر وسفه

---

١ ـ الأوائل للعسكري: ١/٢٣٢

٢ ـ الأغاني: ٢/١٨٧

الشعراء، ما كان من شأن عمر مع النجاشي الحارثي الذي هجا بني العجلان، فاستعدوا عليه عمر، فقال: ما قال فيكم؟ قالوا: قال:

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر: إنما دعا، فإن كان مظلوما استُجيب له، وإن كان ظالماً لم يُستَجب له.. فقالوا: وقد قال:

قُبَيّلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر: ليت آل الخطاب هكذا. قالوا: وقد قال أيضاً:

ولا يرِدُون الماء إلا عشية إذا صدر الوُرّاد عن كل منهل

فقال: ذاك أقل للّكاك. قالوا. وقد قال أيضاً:

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم وتأكل من كعب وعوف ونهشلِ

فقال عمر: أجن القوم موتاهم فلم يضيّعوهم. قالوا: وقد قال:

وما سُمّي العجلانَ إلا لقيلهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر: خير القوم خادمهم، وكلنا عبيدالله. ثم بعث إلى حسان ـ والحطيئة وكان محبوساً عنده ـ فسألهما، فقال حسان مثل قوله في شعر الحطيئة، فهدد عمر النجاشي، وقال له: إن عدتَ قطعت لسانك..(١).

إن عمر يكشف ها هنا عن حس نقدي متميز، وعن فهم عجيب لدلالات الكلام المختلفة، وقدرة على النفاذ إليها واستكناه أسرارها، ولأن ثبوت توجُّه الكلام على نحو ما يحس به بنو العجلان تستلزم إيقاع العقاب، ولأن المبدأ الإسلامي يعلمنا أن نعجّل حسن الظن على سوئه، وأنه إن كان للكلام وجه في

---

١ ـ الشعر والشعراء: ٣٣١، كنز العمال: ٣/٨٦٨

غير الشر وحملناه على الشر ظلمنا صاحبه، راح عمر ـ وهو العارف الخبير ـ يقلّب للقوم الكلام على وجه آخر، مهدّئاً غضبهم، وممتصاً ثائرتهم، ثم عكس مرة أخرى احتراما للنقد الموضوعي الصادر عن مختص، فاستشار أرباب الصناعة ووجوه الرأي، حتى إذا استبان له الأمر، ورأى أن هجاء النجاشي لم يبلغ مبلغ هجاء الحطيئة، وأن النجاشي لم يُعرف بما عُرف به الآخر من جشع وافتراء ونزوع إلى الهجاء، كان عقابه توبيخاً شديداً، وتهديداً عنيفاً، أن يقطع لسانه إن عاد

وتصدّى عمر لنمط آخر من أنماط الهجاء الجاهلي، وهو ما يقوم على التعميم في الحكم، إذ لا يكتفي الشاعر بهجاء شخص معين يستحق الهجاء، ولكنه يتناول القبيلة كافة، وفي ذلك ما فيه من ظلم وحيف، وأخذ للبريء بذنب المسيء، والمجموع بجريرة الفرد. وقد قال ـ عليه السلام ـ في النهي عن هذا النوع الظالم من الهجاء: «إن أعظم الناس جرماً إنسان شاعر يهجو القبيلة من أسرها»(١) وجسد عمر هذا المفهوم الذي يرفضه الإسلام عندما قال للحطيئة مهدداً بعد أن أطلق سراحه: «إياك والهجاء المقذع» قال: وما المقذع؟ قال: المقذع أن تقول: هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبني شعراً على مدح لقوم وذم لمن يعاديهم»(٢) وفي رواية: «المقذع أن تُخاير بين الناس، فتقول: فلان خير من فلان، وآل فلان خير من آل فلان (٣)..».

وفي حرص عمر على تطهير الساحة الأدبية من زيغ الكلمة وانحرافها موقفه في سد الذرائع الموصلة إليها. كان الشعر مثلاً مهنة الحطيئة التي يتكسب بها، وها هو يرد على عمر ـ وقد نهاه عن هجاء الناس ـ قائلاً: «إذن يموت عيالي

---

١ ـ أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ٣٨١
٢ ـ العمدة: ٢/ ١٧٠.
٣ ـ الأغاني: ٢/ ١٨٧.

جوعاً، هذا مكسبي، ومنه معاشي (١)..» إن الشعر مصدر رزقه، وقد تحمله الحاجة على تبني موقف غير كريم، فأراد عمر أن «يؤكد عليه الحجة، فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم..» (٢).

إن هذا الشراء يعني أن ولي الأمر يؤمن لهذا الرجل الذي اعتاد على ضرب من الكسب لا يقره الإسلام، ولعله لا يحسن غيره، رزقاً حلالاً يتعيش به، أو يبدأ به حياة جديدة. وأدرك الحطيئة ذلك، أيقن أن حجته رثّت، وأن عمر سد عليه المنافذ إلى ما اعتاد عليه من مديح وهجاء، فقال:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع شتمًا يضر ولا مديحاً ينفع
وحميتَني عرض اللئيم فلم يخف ذمي، وأصبح آمنا لا يفزع (٣)

ونهى عمر ـ في إطار حملته الحازمة لتنقية الساحة الأدبية من أدران الجاهلية ومخلفاتها ـ الناسَ «أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار مشركي قريش، وقال: في ذلك شتم الحي بالميت، وتجديد الضغائن، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام..» (٤) وعندما وفد إلى المدينة ضرار بن الخطاب وعبدالله بن الزبعر، وهما من شعراء قريش، وأنشدا حسان حتى جعلاه كالمرجل ثم خلفاه، أخذ له عمر بثأره، فرد عليه البرجلين، وقال له: أنشدهما حتى تكتفي، وبذلك سكّن ثائرته، ثم أعاد تذكيرهم بالكف عن إنشاد مثل هذا الشعر: «إني قد كنت نهيتكم أن تذاكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم، وبث القبيح فيما بينكم، فأما إذا أبوا فاكتبوه، واحتفظوا

---

١ ـ السابق، وفي كنز العمال: ٣/ ٨٦٤: «مأكلة عيالي، ونملة على لساني».

٢ ـ تعليق من أمالي ابن دريد: ٨٠، مناقب عمر: ٧٩، وفي كنز العمال: ٣/ ٨٤٦ «أمر له بأوساق من طعام ثم قال: «اذهب فكلها أنت وعيالك، فإذا فنيت فائتني أزدك، ولا تهجون أحداً فاقطع لسانك».

٣ ـ السابق نفسه

٤ ـ الأغاني: ٤/ ١٤٠.

به..»(١) إن عمر يأذن بكتابة هذا الشعر، فالكتابة تاريخ، وهي تبقي الشعر في مدى أضيق، وعند خاصة القوم، ولكن في إنشاده إذاعة وإعلانا.

- المديح :

على نحو ما حارب أبو حفص الهجاء الجاهلي، وتصدى لشعرائه يأخذ على أيديهم بلا هوادة، كان موقفه من المديح الضال. إن الإسلام لم يرفض المديح كله، ولم ينه عن جميع ضروبه وأشكاله، بل أجاز مديح الفضلاء وأهل الخير، بل ندب إليه، ففي الثناء عليهم تمجيد لقيم الحق وإذاعتها. ولكن شوائب كثيرة داخلت هذا اللون من القول، فأخرجته عن الجادة السوية، وباعدت بينه وبين الرؤية الإسلامية الصحيحة. وقد مضى سيدنا عمر - على أثر النبي عليه السلام - يرسّخ أقدام هذه الرؤية، ويذود عنها زيغ الجاهلية.

أثنى على زهير بن أبي سلمى بقيمة نبيلة من قيمه، وهي الصدق، فهذا الشاعر - إذ يمدح من يستحق المديح - لا يغلو في القول ولا يبالغ، ولا يكذب ولا يمين. إنه لا يدعي له ما ليس فيه، أو ينسب إليه ما هو عاطل عنه شأن كثيرين من أصحاب هذا الفن، ولكنه ينشد الحق، ويتخير الصدق. كان «لا يمدح الرجل إلا بما فيه» (٢) تقديراً لأمانة الكلمة، وإيقاعاً لها حيث ينبغي أن تقع. ومن هذا الحرص على رعاية حق الكلمة وشرفها قول أبي حفص - وقد سمع رجلاً يثني على رجل - :«أسافرت معه؟ قال: لا. قال: أخالطته؟ قال: لا قال: والله الذي لا إله غيره ما تعرفه» (٣).

وإذا كان صدق زهير يدنيه من نفس عمر، فإن كذب الحطيئة في مديحه، واجتراءه على الحق، يقيمان جداراً صفيقاً بينه وبينه، ويعرّضانه لغضب عمر وعقابه، فقد أتى به بعد أن أطلقه من حبسه وقال على رؤوس الناس: «أشيروا

---

١ - الأغاني: ٤/١٤١

٢ - العمدة: ١/٩٨

٣ - الصمت: ٥٥٣.

عليّ في الشاعر، فإنه يقول الهُجْرَ، وينسِب بالحُرَم، ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم، ما أراني إلا قاطعاً لسانه..» (١).

لقد كان هذا تحذيراً رسمياً للشعراء جميعاً في شخص الحطيئة النموذج، وبياناً نقدياً من ولي الأمر بأمراض الكلمة، وملامحها الهجينة التي يرفضها الإسلام ويدعو إلى اجتثاثها.

وترسم عمر هدي النبي ـ عليه السلام ـ في النهي عن التزيد في المديح، والغلو فيه، وعدّ ذلك مهلكة للمدوح والمادح، فهو ينفِج الممدوح ويغطرسه، وينفث في رُوعه الغرور والكبر، ولذلك قال عليه السلام لرجل أثنى على رجل وأطراه في مدحه: «أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل (٢)» والغلو من المادح مظِنة نفاق، وأُعلومة استرابة. قال عمر: «المدح ذبح» (٣) ذبح للطرفين. قال لرجل أثنى عليه. «تهلكني وتهلك نفسك (٤)» وسمع رجلاً يمدح الجارود، ويقول: هذا سيد ربيعة، وقد سمعها الجارود ومن حوله، فخفقه عمر بالدِّرة، فقال: مالي ولك يا أمير المؤمنين! فقال: أما لقد سمعتها؟ قال: سمعتها، قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء، فأحببت أن أطأطىء منك. (٥).

وتصدى عمر لمديح التكسب، وهو المتاجرة بالكلمة، واستئكال عقل الممدوح وفتنته بها، ونهى الممدوح أن يصل الشاعر على مدحه، فإن هذا يشجعه على السؤال، ويجرّئه على التكسب بشعره، ويعطّله عن التماس الرزق الشريف، ويستمرىء الممدوح ـ من وجه آخر ـ طعم الفخر، وحلاوة الثناء، وزهو الفوقية.

---

١ ـ الأغاني: ٢/ ١٨٩
٢ ـ فتح الباري: ٤/ ٦٥٥.
٣ ـ الصمت: ٥٥٢، عيون الأخبار: ١/ ٢٧٥
٤ ـ الصمت: ٥٥٤.
٥ ـ السابق ٥٥١.

سمع عمر أن الحطيئة مدح أبا موسى الأشعري بقصيدته:

جمعتَ من عامر فيه ومن جشم ومن تميم ومن حاء ومن حام

فوصله أبو موسى، فكتب إليه يلومه، ولكن أبا موسى دافع عن نفسه بقوله: «إني اشتريت عرضي منه بها» فكتب إليه عمر: «إن كان هذا هكذا، وإنما فديت عرضك من لسانه، ولم تعطه للمديح والفخر فقد أحسنت» (١).

اتقى أبو موسى لسان الحطيئة السليط فأعطاه، وأقره عمر، ولكنه نهاه أن تكون هذه الصلة على المديح. وعندما أعطى عمر ـ كما مرّ ـ الأعرابي الذي وقف عليه، وقال له: (يا عمر الخير جُزيت الجنة..) قميصه، لم يعطه لشعره، ولكن أعطاه صدقة خوفاً من اليوم الذي تحدث عنه الأعرابي، وقال موضحاً، وفي التوضيح تنظير لرؤية فكرية: «أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره..»

ونهى عمر عن نوع من المدح يقوم على المقارنة، إذ يخاير الشاعر فيه بين قومين، فيكون قد نال من قوم برآء في موطن مدحه آخرين، وأسقط قدرهم في قضية ليسوا طرفاً فيها. قال للحطيئة: «إياك وكل مدحة مجحفة، قال: وما المجحفة؟ قال: تقول: بنو فلان خير من بني فلان. امدح ولا تفضّل..» (٢).

٤ ـ نماذج الطفح الشعري اللاوعي

على نحو ما استحسن أبو حفص ألوانا من الشعر، تمثل بها في بعض المواطن، وحث على روايتها وتعلمها، استقبح ألواناً، ونقد فساد التصور فيها. وكان الاستحسان والاستقباح نموذجين لنضج التجربة الفنية وسلامتها، أو فجاجتها وسقمها.

أنشد رجل عمر قول طرفة:

---

١ ـ الأغاني: ٦/١٧٦

٢ ـ كنز العمال: ٣/٨٤٦

فلولا ثلاث هن من عيشه الفتى وحقُّك لم أحفِل متى قـــام عُوّدي

فقال: «لولا أن أسير في سبيل الله، وأضع جبهتي لله، وأجالس أقواماً ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب الثمر، لم أبال أن أكون قدمُتّ» (١).

إن ثلاث طرفة التي تحدث عنها في معلقته بعد البيت المذكور، والتي لولاها لما بالى الموت هي: الخمر، وإجابة المذعور المتلهف، والتمتع بامرأة جميلة بَهْكَنَة، ولكن ثلاث عمر هي: الجهاد في سبيل الله، والعبادة، ومجالسة الأخيار على صالح الحديث. وشتان بين الرؤية الجاهلية الضيقة بمطامحها الرخيصة الرعناء، وبين الرؤية النبيلة الرحبة وهمتها الشماء.

ويعجب عمر بقول سحيم:

عميرةَ ودّع إن تجهزت غازيا كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا

لما يعكس من روح إيمانية، ولكنه يحرص على رؤية أصفى، تنزل الأمور منازلها، وتعطي الأشياء قدرها، فالإسلام أحرى أن يكون أوعظ من الشيب، ولذلك يقول لسحيم: «لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك» (٢).

ورأى في قول الحطيئة

متى تأتِه تعشو إلى ضوء ناره تجدْ خيَر نار عندها خير موقد

مبالغة وتزيداً، ولعله وجد هذه الصفة فضفاضة على الممدوح، تجدر بمن هو أرفع وأسمى، فقال ناقداً: «كذب، تلك نار موسى نبي الله، صلى الله عليه وسلم» (٣).

ومع إعجابه بزهير الذي أثنى عليه بصدقه، وأنه لا يمدح الرجل إلا بما فيه،

---

١ ـ البيان والتبيين: ٢/١٩٥

٢ ـ كنز العمال: ٣/٨٥٢، الإصابة: ٢/١٠٨

٣ ـ الأغاني: ٢/٢٠٠، العقد: ٥/٢٩٢

فضّل أن يكون قوله في هرم بن سنان.

قومٌ أبـوهم سنـان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأفلاذ ما وَلَدوا
لو كـان يقعـد فـوق الشمس من كـرم ... قـوم بـأولهم أو مجدهم قعـدوا
جنّ إذا فـزعـوا، إنس إذا أمنـوا ... مـرزّؤون بهـاليـلٌ إذا احتشـدوا
محسّدون على مـا كـان من نعم ... لا ينزع الله منهم ما له حسـدوا

في أهل بيت رسول الله، وكأنما آنس فيها أثَارة من غلو جعلته يستكثـرهـا عليهم، أو كأنما أحس ـ بـذوقـه الفني الخلقي ـ أن هـذه القيم الـرفيعـة التي يجسدها الشعر، ألصق بقوم أكرم، ولذلك قال في نقده: «ما كان أحب إلّي لو كان هذا الشعر في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم» (١)

وهو يستهجن قول الحطيئة:

وإن جيـاد الخيـل لا تستفـزنـا ... ولا جاعلاتِ الرَّيْط فوق المعاصم

ويحاكمه إلى المعيار الإسلامي، فيقول: لو ترك هذا أحد لتركه رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم، إذ روي أن رسول الله ـ عليه السلام ـ سبق على فـرس له، فجثا على ركبتيه وقال: «إنه لبحر» (٢).

تلك نماذج مما انحرفت فيه الرؤية يسيرا أو كثيراً. وفي نقدهـا، والتنبيـه إلى موطن الزلل فيها، دعوة إلى الالتزام بالقيم الإسـلاميـة في الحكم، وتحـذيـر من جموح الكلمة، وطغيان الطفح الشعري غير المسؤول.

بين الرؤية والفن

وضح أن معيار عمر في الحكم على الشعـر: قبـولاً أو رفضـاً، هـو معيـار إسلامي خلقي، فما وافق الحق، ودعا إلى القيم الفاضلة، احتفى به أبو حفص في

---

١ ـ العقد: ٥/٢٩١

٢ ـ الأغـاني: ٢/١٧٧، ديوان الحطيئة: ٣٣٦، والريطة: الملاءة، وقيل: كـل ثـوب لين دقيق، جمعها ريط ورياط

المجتمع الجديد، فأثنى عليه، وحث على تعلمه وروايته، ونظر إليه على أنه جزء هام من ثقافة المسلم وتكوينه الفكري، وراح ـ في موطن الحض على تحفظه ـ يفطّن إلى ألوان تأثيره المختلفة، وجلال دوره في التوجيه والدعوة.

ومضى ـ مهتدياً بالصُّوى التي وضعتها أحاديث رسول الله في الشعر والشعراء ـ يثبّت ملامح الرؤية الإسلامية للأدب، ويكمل مسيرة التنظير لها، ثم راح يأخذ أصحاب الكلمة بها، فتتبع من زاغ عن هذه الرؤية، واجتهد أن يستأصل القيم الفنية الجاهلية لتحل محلها القيم الجديدة الخيرة. وهكذا خرج الأدب من العبث إلى الالتزام، ومن اللامسؤولية إلى الهدف، ومن اللاوعي إلى مراقبة الضمير النابض ومحاسبته.

إن عمر يتابع رسالة النبي ـ عليه السلام ـ في التنظير لأدب إسلامي، وفي ترسيخ مفهوم الرؤية العقدية للفن، إنه يربط الكلمة بالدين، ويجعل مثله الرفيعة معينها الزخّار، ومغترفها الثر. ولذلك انصب نقده ـ في عُظْمه ـ على المضمون، وتعلق بالأفكار التي يروج لها الشعر، وكانت محاسبة المعاني والحكم عليها بالحسن أو القبح، ملمحاً واضحاً في هذا النقد. إن نقد أبي حفص لون من ترشيد خطا الأدب، وإقالة عثراته، واستنقاذه من وهدة الضلال، في ضوء المنظار الإسلامي، وتصوره للقيم والأفكار، وليس رأياً شخصياً في الأدب، أو نشاطاً مجرداً عن الهدف. إنه نقد رؤيوي كما سبق أن ذكرنا، يقوم على تمثل فكري معين، والأداة الفنية لا تحدث أية إشكالية فيه، فالإسلام لم يلزم الشعراء بأسلوب خاص، ولم يحملهم على أضراب معينة من الأساليب(١)، أو يقدم لهم تصوراً فنياً للأدب، بل ترك لهم الحرية في ذلك. وإن خصومة عمر لبعض نماذج الشعر التي توقفنا عندها هي خصومة حول الرؤية، خصومة حول الفكر، وليست خصومة حول الأدوات والأشكال التعبيرية.

---

١ ـ انظر تفصيل ذلك في كتابنا النظرة النبوية في نقد الشعر: ٦٠ ـ ٦١

ولا يفهمن أحد من هذا النحو من الكلام أن النقد الإسلامي لا يهتم بالشكل الفني، أو أنه ـ في سبيل حرصه على نظافة الفكر ـ يدير ظهره لأسلوب التعبير، أو يلغي دور العرض. إن الفن الأصيل تعبير عن تجربة إنسانية فاضلة بأسلوب جميل متميز.

وقد أشار عمر ـ وهو يتحدث عن زهير بن أبي سلمى ـ ويفضّله على جميع الشعراء إلى هذا التعانق الحار في شعره بين الرؤية الفكرية السليمة والأداة الفنية الراقية. قال لابن عباس: أنشدني لأشعر شعرائكم، أو لشاعر الشعراء. قال: من هو يا أمير المؤمنين؛ قال: زهير. قال لم كان كذلك؟ فقال عمر: «كان لا يُعاظِل بين الكلام، ولا يتتبع حوشيه، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه»(١). نقد معلل، أفصح فيه عمر عن سبب إعجابه بزهير، وتسميته شاعر الشعراء، وأرجع ذلك إلى قطبي الفن اللذين لا يكون النضج والاستواء فيه إلا بهما معاً: الصياغة والمعاني، الأداة والفكر. فزهير ذو أسلوب سهل، وعبارة طيعة متدفقة، لا تعقيد في ألفاظه، ولا تعثر في تراكيبه، ينطلق كلامه بسلاسة وبساطة وبعد عن التكلف، آخذا بعضه برقاب بعض، وهو ـ على مستوى الفكر ـ يؤثر الصدق، ويأخذ بالحق، فلا يقول إلا ما يعرف غير مفرط ولا مغالٍ. لقد أخذ عمر بالمعيارين: الخلقي والفني، في حكمه على زهير وتفضيله.

وفي موطن إشادته بامرىء القيس، وحديثه عن شاعريته وسبقه، كان المقياس الذي صدر عنه فنياً، يتعلق بالمقدرة الشعرية، والتمكن من ناصية القول، فلم يكن امرؤ القيس صاحب رؤية فكرية سليمة، كان أقرب الى العهر والتفحش: سلوكاً وقولاً، ولكن ذلك لم يمنع أبا حفص أن يقر بشاعريته، كما أقر بها رسول الله ـ عليه السلام ـ إن صح ما نسب إليه من قوله: «امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار»(٢) وأما عمر فقد سأله العباس عن

---

١ ـ العمدة: ١/٩٨، الأغاني: ١/٢٨٩

٢ ـ الهواتف: ٨٥، مجمع الزوائد: ٧/١١٩، طبقات الشافعية الكبرى: ١/٢٢٦

الشعراء فقال: «امرؤ القيس سابقهم، خسف لهم عين الشعر، فافتقر عن معان عور أصحَّ بصر» (١).

ومن الواضح أن هذين حكمان فنيان، ينوهان بالملكة الشعرية التي يتمتع بها امرؤ القيس، ولكن الإقرار بالشاعرية ـ وهو إنصاف ـ شيء، وقبول الشعر أو رفضه شيء آخر، فهل كنا نتوقع أن يحتفي عمر بما يصدر عن هذه العبقرية الشعرية من فكر سقيم؟

إن عمر يصدر حكماً نقدياً معللاً، يفصح فيه عن سبب تقدم امرىء القيس، وتميزه من شعراء طبقته، فيشير إلى معيار فني هام، وهو قدرته على التوليد والاختراع، والسبق إلى الجديد من المعاني والصور، والطرائق والأساليب. إنه دور الريادة في فن معين. وقد عبر عمر عن هذه الريادة أروع تعبير وأفصحه في هذه الصورة البلاغية التي رسمتها عبارته: حفر امرؤ القيس للشعراء عين الشعر وأنبطها وأغزرها، فتفجرت عن ألوان وطرائق لا يعرفونها، وعن معان كانت معمَّاة عليهم، لا يهتدون إليها، ولا تخطر لهم ببال، فاحتذى الآخرون على مثاله، وقلدوه فيما أخذ فيه.

وإذا كان عمر لم يشر في حكمه الدقيق هذا إلى ماراده امرؤ القيس للشعراء، فإن كثيرا من النقاد الذين جاؤوا بعده اهتدوا بهذه العبارة، فتحدثوا عن بعض اختراعات هذا الشاعر وأولياته. قال ابن سلام: «احتج لامرىء القيس من يقدمه، قال: ما قال ما لم يقولوا، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، واتّبعته فيها الشعراء: استيقاف صحبه، والتبكاء في الديار، ورقة النسيب، وقرب المأخذ، وشبه النساء بالظباء والبيض، وشبه الخيل بالعقبان والعصي، وقيد الأوابد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسيب والمعنى»(٢).

---

١ ـ الشعر والشعراء: ١٢٧، نثر الدر: ٢/٤٦، شرح نهج البلاغة: ٣/١٤١

٢ ـ طبقات فحول الشعراء: ٥٥، وانظر الشعر والشعراء: ١١٠، ١٢٨

ويبدو من النص الذي قدم فيه أبو حفص النابغة الذبياني على شعراء غطفان أنه لا يغفل الأدوات التعبيرية في الحكم، فالنماذج التي استشهد بها من شعره جمعت بين الفكر الجاد والمعاني النبيلة، وبين الشكل الفني المتميز، بل كان بعضها صورة أدبية جميلة.

خرج عمر وببابه وفد من غطفان. قال: أي شعرائكم الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بُلِّغتَ عني رسالة ... لمبلِغُك الواشي أغشُّ وأكذب
ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمُّه ... على شَعَثٍ، أيُّ الرجال المهذب؟

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: فمن الذي يقول:

خطا طيفُ حُجْنٌ في حبال متينة ... تمد بها أيدٍ إليك نوازع
فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: فمن القائل:

إلى ابن مُحَرِّق أعلمت نفسي ... وراحلتي وقد هدتِ العيون
فألفيتُ الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون
أتيتك عارياً خَلقاً ثيابي ... على خوف تُظَنّ بيَ الظنون

قالوا: النابغة يا أمير المؤمنين. قال: فمن القائل

إلا سليمانَ إذ قال المليك له: ... قم في البرية فاحدُدْها عن الفَنَدِ

قالوا: النابغة قال: فمن القائل:

ولستُ بزاخر لغد طعاماً ... حذارَ غد لكل غد طعام

قالوا: النابغة. قال: «فهو أشعر شعرائكم» وفي رواية: «النابغة أشعر شعرائكم، وأعلم الناس بالشعر..»(١)

إن النقد ها هنا غير معلل، فعمر لم يفصح عن سبب تقديمه النابغة على شعراء غطفان كما أفصح عند حديثه عن زهير وامرىء القيس، ولكن النماذج التي ذكرها من شعره تدل على أنه يحتكم إلى معيار نقدي يجمع بين الرؤية والفن، فهنا معان جادة رصينة، فيها حكمة ومثل ونفس إيماني، وقد صيغت بأسلوب فني متميز.

وهكذا نجد أن نقد عمر الذي غلب عليه الاهتمام بمضمون العمل الأدبي وأفكاره، بحكم أنه نقد رؤيوي يعمل على التنظير لأدب إسلامي، لم يهمل في الوقت نفسه الأدوات التعبيرية، أو يغض الطرف عنها.

---

١ ـ جمهرة أشعار العرب : ١/١٩٣ ـ ١٩٤، كنز العمال : ٣/٨٥١.

خـاتمـة

تلك جولة في نقد عمر للشعر، وتصـوره لأصـول هـذا الفن الأدبي العـريق والمبـادىء والقيم التي ينبغي أن تحكم مسـاره، وتـرسم مـلامحه في الإبـداع والتقويم، وفي الوظيفة والهدف. وقـد يحسن في خـاتمة هـذا البحث، أن نلخص أهمية الفاعلية النقدية عنده، وأبرز المسائل والقضايا التي أثارها.

وضح أن عمر بن الخطاب ناقد متميز، يمتلك حسا أدبيـا مـرهفـا، وذوقـا مصقولا مدربا، وقدرة باهرة على تمييـز الكـلام، والنفـاذ إلى بـواطنـه وأسراره، ومعرفة حسنه من رديئه، وقد خلّف أقوالا ومواقف كثيرة، بل كثيرة جـدا ممن كان في مثل موقعه، وجسيم أعبائه، وكان بعضـها نقدا نظريا، وبعضـهـا الآخـر تطبيقيا.

وبدت هذه الآراء ـ في وجهيها معا ـ غير خفيفة ولا هينة، بل أصابت حظـاً غير يسير من النضج والعمق، ومن الاستواء والموضوعية. وقد يكـون من أبـرز ملامح النضج التي نلمسها في نقد عمر:

ـ أنه ـ وهو في هذه الفترة المبكـرة من نشـأتـه ـ قـد غلب عليـه **التعليل**، وإبداء الأسباب فيما يُستحسن أو يُستقبح، وفي تقديم شـاعـر أو تـأخيره، وفي الدعوة إلى أمر أو النهي عنه، ومراجعة سريعة للآراء النقديـة التي ضمهـا هـذا البحث توضح كثرة التعليل فيها، وإظهار دواعي الأمور ومسبباتها.

ـ أنه رسخ مفهوم **التخصص**، وألحّ عليه أكثر من مرة، فكان ـ على درايته بالشعر ـ يستـأنس بـرأي البصراء فيـه، ويفيء في بعض شؤونـه إلى خبرتهم، سأل حسـان، وسـأل لبيـدا والحطيئـة، وسـأل مـرة ابن عبـاس وسماه «ابن بجدتها، وأعلم الناس بها(١)» وهو يعكس بذلك احتراما للنقد الموضوعي الـذي يتعـاطـاه خبير، ويجعلـه وحـده الفيصـل، وفي هـذا عصمـة للنقـد من العبث والفوضى، ورفع ليد الشُداة والمتطفلين عنه.

---

١ ـ جمهرة أشعار العرب : ١/ ١٩٠.

ـــ وعلى أن أبرز ملامح الموضوعية والعمق في نقد عمر صدوره ـ كما رأينا ـ عن **منهج فكري** واضح، وعن **رؤية عقدية** مستنيرة. إن آراء عمر في الشعر والشعراء، وأحكامه المختلفة بالقبول أو الرفض، والرضى أو السخط، لم تصدر عن هوى شخصي، أو ذوق فردي، ولكنها مُغْتَرَف منهج متماسك أعطاها وحدة وانسجاما، وعصمها من التناقض والتنافر.

صدر عمر في حواره مع الأدب عن عن تصور عقدي صحيح، فرسخ بذلك مفهوم النقد الإسلامي، وأوثق الرباط بين الأدب والدين، فجعل معايير العقيدة **أساسية** في الحكم والتقويم، وثبّت التصور الإسلامي للأدب بأنه نشاط هادف مسؤول، وهو لسان إصلاح وتوجيه، ومنبر دعوة وخير، يغترف من الوعي، ويخضع لمحاسبة دقيقة من ضمير حي يقِظ. والأدباء ملكات بناءة، وطاقات نافعة، وهم أصحاب رسالة نبيلة، يأخذون أنفسهم بالتزام ذاتي، ومسؤولية نابعة من قلب المؤمن وضميره، ومن خان منهم أمانة الكلمة، وسخّرما منحه الله من مواهب في السفه والهدم، وفي الاعتداء على قيم المجتمع ومثله الكريمة، وجب التصدي له، وردّه إلى الجادة، واجتثاث ما زرع من فكر هجين كما تجتث الشجرة الخبيثة حتى ما لها من قرار.

وأخيرا نقول: إن أقوال عمر وأحكامه الأدبية تحتل أهمية خاصة في مجتمع المسلمين لا لأنها تمثل آراء شخصية لذواقة بصير بفن الكلمة فحسب، ولكن لأنها تعد ـ وهي تصدر عن ولي الأمر ـ توجيها رسميا للأدباء، وبيانا حكوميا برأي الدولة في الأدب وأهدافه ومُثُله.

ثبت بالمصادر والمراجع

١ ـ إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، دار الشعب، مصر، بلا تاريخ.

٢ ـ الأدب المفرد: البخاري، تحقيق محمد هشام البرهاني، وزارة العدل والشؤون والأوقاف، أبوظبي: ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق د. طه الزيني، المكتبات الأزهرية، مصر ١٩٧٧م.

٤ ـ الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني، مصورة عن طبقة دار الكتب المصرية.

٥ ـ أمالي اليزيدي: عالم الكتب بيروت ومكتبة المثنى، القاهرة. بلا تاريخ.

٦ ـ الأوائل: أبو هلال العسكري، تحقيق د. وليد قصاب، ومحمد المصري، دار العلوم، الرياض: ١٤٠١ ـ ١٩٨١م.

٧ ـ بهجة المجالس: ابن عبدالبر القرطبي، تحقيق محمد مرسي الخولي، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة: ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م.

٨ ـ البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة: ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

٩ ـ تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث. د. داود سلوم، كلية الآداب، بغداد: ١٩٦٩م.

١٠ ـ تعليق من أمالي ابن دريد، تحقيق السيد مصطفى السنوسي، الكويت: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

١١ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول: ابن الأثير، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، دار البيان: ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

١٢ ـ جمهرة أشعار العرب: أبوزيد القرشي، تحقيق د. محمد علي الهاشمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

١٣ ـ خزانة الأدب: عبدالقادر البغدادي، تحقيق عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٧٦م.

١٤ ـ ديوان الحطيئة: تحقيق د. نعمان طه، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٥ ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح) حققه عبدالوهاب عبداللطيف، دار الفكر، بيروت: ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٦ ـ سنن الدارمي: تحقيق محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية، بيروت، بلا تاريخ.

١٧ ـ سنن أبي داود (سنن المصطفى) دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

١٨ ـ سنن ابن ماجه، دار الفكر، بيروت، بلا تاريخ (ط ثانية).

١٩ ـ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، مصر ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

٢٠ ـ الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر: ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

٢١ ـ الصمت وحفظ اللسان: ابن أبي الدنيا، تحقيق نجم عبدالرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٢ ـ طبقات ابن سعد: دار صادر، بيروت: ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.

٢٣ ـ طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، تحقيق د. عبدالفتاح الحلو ومحمود الطناحي، القاهرة، عيسى البابي الحلبي، ط أولى.

٢٤ ـ طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ بلا تاريخ.

٢٥ ـ العقد الفريد: ابن عبدربه، تحقيق أحمد أمين ورفيقيه، القاهرة. ١٩٤٩م.

٢٦ ـ العمدة: ابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت: ١٩٧٢م.

٢٧ ـ عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري: أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري، الشؤون الإسلامية ـ قطر: ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٨ ـ عيون الأخبار: ابن قتيبة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة: ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٢٩ ـ فتح الباري بشرح البخاري. لابن حجر العسقلاني، البابي الحلبي، مصر: ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩م.

٣٠ ـ الكامل: المبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٣١ كنز العمال: علاء الدين الهندي، مؤسسة الرسالة: ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٣٢ ـ مجمع الزوائد: الحافظ الهيثمي. دار الكتب العربية، بيروت ١٤٠٢هـ.
٣٣ ـ مجموعة المعاني: لمؤلف مجهول، تحقيق عبدالمعين الملوحي، دار طلاس، دمشق: ١٩٨٨م.
٣٤ ـ محاضرات الأدباء: الراغب الأصبهاني، بيروت، بلا تاريخ.
٣٥ ـ المُراح في المزاح: بدرالدين الغزي، تحقيق د. السيد الجميلي، الثقافة الدينية، القاهرة: ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦.
٣٦ ـ مقالات في تاريخ النقد العربي: د. داود سلوم، العراق، وزارة الثقافة.
٣٧ ـ مقدمة ابن خلدون، دار الشعب، القاهرة.
٣٨ ـ مكارم الأخلاق: ابن أبي الدنيا، تحقيق جيمز بلمي، دار فرانزشتاينر.
٣٩ ـ مناقب عمر: ابن الجوزي، تحقيق د. زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.
٤٠ ـ نثر الدر: الآبي، تحقيق محمد علي قرنة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة: ١٩٨٠ وما بعدها.
٤١ ـ نصوص النظرية النقدية عند العرب من العصر الجاهلي إلى أوائل القرن الثالث. د. وليد قصاب، المكتبة الحديثة، العين: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٤٢ ـ نضرة الإغريض في نصرة القريض، للمظفر العلوي، تحقيق د. نهى عارف الحسن، مجمع اللغة العربية، دمشق: ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
٤٣ ـ النظرة النبوية في نقد الشعر: د. وليد قصاب، المكتبة الحديثة، العين: ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
٤٤ ـ الهواتف: ابن أبي الدنيا، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، مصر.